

الثورة العربية الكبرى

٢٠

وعود الخلفاء بقلم الاستاذ السيد عبد الرزاق الحسني
لما اندلع لييب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤م. صرح
تحدثوا الخلفاء الرسميون ان الخلفاء لا يستهدفون من
حربهم هذه ضم اراض جديدة أو الحاق مدن اخرى
باراضيهم وانهم انما يحاربون لتحرير الشعوب التي ترزح
تحت الطغيان الالماني والتركي ولبست لهم أية نية في أي
توسع اقليمي . وقد زاد دخول امريكا الحرب « الى
جانب الخلفاء » هذا المبدأ تو كيداً (١) وليس في الامكان
حصر وعود الخلفاء بتحرير الشعوب المظلومة من نير
الاضطهاد الذي فرضه عليها أعداؤها وانما نستطيع أن
نأني على البعض منها :
أ — منشور جنرال مود

فلما احتل جنرال مود مدينة بغداد في يوم ١١ آذار
١٩١٧م. نظمت الدوائر السياسية في الهند ولندن منشوراً
ليذاع على اهل بغداد باسمه قبل ان يطلع عليه أو يؤخذ
رأيه فيه فأذيع في اليوم التاسع عشر من الشهر المذكور،
ويقول فيليب آيرلند في كتابه (تطور العراق السياسي)
ان موداً احتج على ما جاء في هذا المنشور لأنّه كان
يرى ان اتباع هذه السياسة (غير ضروري وفي غير أوانه،
واعتبر ان هذا التصريح وهذه السياسة سيخلفان بلبلة في
اذهان العرب حول نوايا بريطانيا المقبلة ويشير آمالهم
ومطامحهم في وقت يجب ان تكون سلطنة بحيث البريطاني
هي العليا مطلقة في المناطق المحتلة) (٢) وهذا مما يزيد
في قيمة هذا المنشور ولا أدع مجالاً للشك في انه ما كتب
(١) تمبرلي في كتابه « تاريخ مؤتمر الصلح في

باريس » ص ٦٠٠

(٢) آيرلند ص ٩٩

ولا اذيع لمقاصد عسكرية . اما نص المنشور فهو :
يا أهالي ولاية بغداد :

انني باسم جلالة ملكي المعظم واسم شعوبه التي يحكم
عليها اوجه اليكم الخطاب الآتي

الغرض من معاركنا الحربية دحر العدو واخراجه من
هذه الاصقاع فاننا ما لهذه المهمة وجهت الي السلطنة العلية
المطلقة على جميع الاطراف التي تحارب فيها جنودنا . الان
جيوشنا لم تدخل مدنكم واراضيكم بمنزلة قاهرين أو اعداء
بل بمنزلة محررين .

لقد خضع مواطنوكم منذ ايام هولا كوي لمظالم الغرباء
فتخربت قصوركم وتجردت حدائقكم وأنت اشخاصكم
واسلافكم من جور الاسترقاق . لقد سبق ابنساؤكم الى
حروب لم تزدوها وجردكم القوم الظلمة من ثروتكم
وبددوها في اصقاع شاسعة .

تكلم الانراك منذ ايام مدحت باشا عن الاصلاح .
ومع ذلك أفليس دثور اليوم وقفوره برهاناً على بطلان
هذه المواعيد ؟ انها ليست امنية جلالة ملكي المعظم . فقط
وامنية شعوبه بل انها ايضاً امنية الامم العظمى المتحالف
معها جلالاته ان تفلحوا كما في السابق ، وقد كانت اراضيكم
مخصصة ، وكان العلم يتغذى بالبان آداب جددكم وعلومهم
وحررهم ، ووقت ما كانت بغداد احدي غرائب الدنيا .

لقد ارتبط قومكم بايلات جلالة ملكي المعظم بعروة
المصالح الوثقى : فقد تعاطى تجار بغداد وتجار بريطانيا
العظمى بعضهم مع بعض مدة مئة سنة متبادلين المنفعة
والصدقة . اما الالمانيون والاتراك الذين نهوكم انتم
وذويكم فانهم اتخذوا بغداد مدة عشرين سنة مركز قوة
يهجمون منه على نفوذ البريطانيين وحلفائهم في بلاد ايران
والامصار العربية ، فعلى ذلك لم تملك الحكومة البريطانية
من البقاء ضاربة الصفح عما يحدث في وطنكم حاضراً
او مستقبلاً ، اذ انه قياماً بواجب مصلحة الشعوب
البريطانية وشعوب حلفائها لا تستطيع الحكومة البريطانية
المجازفة في وقوع ما عمله الاتراك والجرمان ببغداد اثناء

وشرقاً وغرباً في تحقيق اطاحكم القومية إ ه « ١ »

ب « العهد البريطاني للسوريين السبعة »

« ألف سبعة من العرب المقيمين في القاهرة هيئة منهم للقيام بعمل مشترك في ربيع عام ١٩١٩ م . حين هاج شعور العرب على اثر صدور وعد بلفور واذاغة اتفاقية سايكس - بيكو . وقد تكلمنا عنهما كثيراً في الفصل الرابع » حتى ترعزت اركان الحلف العربي - البريطاني وكانوا جميعاً من ذوي المكانة والنفوذ الذين اطلعوا على مضمون اتفاق الحسين ومكماهون في حينه فراحوا يعملون بحسب من ذلك الوقت على تأييد الثورة العربية ، اما الآن فقد تملكهم الشكوك والخاوف الخطيرة بذيئة القلق الشديد الذي ساد العالم العربي وما انتاب اعتقادهم بعدمقوى الحلفاء من وهن عظيم فكتبوا تصريحاً في شكل مذكرة موجهة الى الحكومة البريطانية شرحوا فيها الموقف كما تراهي لهم من ناحيته الخارجية والداخلية وطلبوا من بريطانيا العظمى تعريف سياستها المتعلقة بمستقبل البلاد العربية بمجموعها في بيان واضح وشامل ... وبعد مضي مدة من الزمن اي بتاريخ ١٦ يونيو عام ١٩١٨ ورد جواب وزارة الخارجية البريطانية فكان على جانب كبير من الأهمية في مضمونه وفي الاثر الذي تركه ، وقد سلمه الى السبعة احد كبار موظفي الاستخبارات واسمه المستر ولروند في اجتماع رسمي عقد لهذه الغاية في مقر قيادة الجيش « (٢) وهذا نصه :

أ - ان حكومة جلالة الملك ترغب في ان تكون عامة الشعوب التي تتكلم اللغة العربية متقدمة من السلطنة التركية وان تعيش فيما بعد وعليها الحكومة التي ترغب فيها
٢ - ان بعض البلاد العربية اذا كانت تتمتع باستقلالها التام منذ مدة او حصلت عليه الآن ، وهو استقلال

(١) عبد الرزاق الحسني في كتابه « العراق في دوري الاحتلال والانتداب » ج ١ ص ٥٧ - ٥٨
(٢) جورج انطونيوس في كتابه « منظمة العرب » ص ٢٩٨ - ٢٩٩

الحرب مرة ثانية ، ولكنكم يا أهالي بغداد يا من حرقكم التجارية وتأمينكم من الظلم الغزو أمر يستوجب ادق اهتمام الحكومة البريطانية به ابد الدهر لا يجب عليكم ان تظنوا بان رغبة الحكومة البريطانية هي تكليفكم نظمات اجنبية فامية الحكومة البريطانية هي ان تحقق ما تطمح اليه نفوس فلاسفتكم وكتابكم مرة اخرى ، وسوف يسعد أهالي بغداد حالهم ويتمتعون بالغنى المادي والمالي بفضل نظمات توافق قوانينهم المقدسة واطاحهم القومية الفكريه .

لقد طرد العرب من الحجاز الاتراك والجرمان الذين بغو عليهم ، وقد نادوا بعظمة الشريف حسين ملكاً عليهم وعظمتهم بحكم بالاستقلال والحرية ، وهو متحالف مع الامم التي تمارب دولتي تركية وجرمانية ، وهذه هي حقيقة حال اشرف العرب وامراء نجد والكويت وغير كثير من هم اشرف العرب الذين راحوا ضحية في سبيل الحرية على ايدي اولئك الحكام الغرباء الاتراك الذين ظلموهم . ان التصميم لهو تصميم بريطانية وتصميم الدول العظمى المتحالفة معها على ان لا يذهب ما قلساء هؤلاء الاعراب الشرفاء هباء منثوراً . ان المأمول لهو مأمول بريطانيا العظمى والامنية امنيتها بل ها مأمول وأمنية الامم المتحالفة معها ، ان تسمو الامة العربية مرة اخرى عظمة وصيتاً ، وان تسعى كتلة واحدة وراء هذه الغاية بالاتحاد والوئام .

يا أهالي بغداد اذكروا بانكم تألمتم مدة ستة وعشرين جيلاً ، اذاكم الظلمة الغرباء الذين سعوا دائماً ابدأ الى الايقاع بين البيت والبيت كي يستفيدوا من انشقاقكم فهذه السياسة مكروهة عند بريطانيا العظمى وحلفائها اذ انه حيث العداوة وسوء الحكم لا يستقيم سلام ولا فلاح فبناء عليه انني مأمور بدعوتكم بواسطة اشرفكم والمتقدمين فيكم سنأ وممثلينكم الى الاشتراك في ادارة مصالحكم الملكية المعاصرة ، تمثلي بريطانيا السياسية المراقبين للجيش كي تنظموا مع ذوي قرباكم شمالاً وجنوباً

اعترفت به انكاز، اعترافاً تاماً ، وهذا يكون شأنها ايضاً مع البلاد التي تحصل على استقلالها من الآن حتى نهاية الحرب ٣- ان سائر البلاد العربية هي الآن اما خاضعة للترك او تحتلها جيوش الحلفاء ، فيحكومة جلالة الملك تأمل ، ولها الثقة ، ان شعوب هذا البلاد تحصل ايضاً على حريتها واستقلالها وان يتخذ بشأنها عند انتهاء الحرب قرار يتفق مع رغائبها

٤- ان حكومة جلالتهم تعتقد ان العوائق والصعوبات المفردة التي تقف في سبيل احياء هذه الشعوب سيتغلب عليها تلياً ناجحاً ، وهي تعد بكل مساعد لمن يسعى في ازالتها ومستعدة لأن تنظر في اية خطة لعمل مشترك يلتزم مع الحركات العسكرية الحاضرة ، ويتفق مع المبادئ السياسية لبريطانية وحلفائها. (١)

ويرى المتبعون للسياسة البريطانية ان هذا التصريح بعد اخضر بيان أصدرته بريطانيا العظمى لتوضيح سياستها نحو « الثورة العربية » ونحو البلاد العربية التي انسلخت من تركية حرباً جـ - برقية وجوابها

اصطنعت السلطات البريطانية في العراق رجالاً معلومين من طبقات مختلفة فيهم المتري بزي رجال الدين وفيهم من يعاطى التجارة وآخرين يتظاهرون بالوجاهة والزعامه لا يهمل الرأي العام في خارج العراق ، واحياناً في داخله ، بأن السلطة المحتلة متمتعاً بثقة العراقيين وحائزة على رضاهم وقد زار جماعة من هؤلاء المتريين بزي رجال الدين وغيرهم الحاكم العسكري - السياسي في النجف في ٣ تشرين الاول ١٩١٨ م . وأعربوا له عن فرحهم بانتصار الحلفاء في احد الميادين الحربية فاهتبل الحاكم هذه الفرصة وطير انبريقية التالية الى الحاكم الملكي في بغداد :

زارني علماء النجف واعيانها وتجارها والفنصل الايراني

(١) نوري سعيد في كتابه « استقلال العرب

ووجدتهم » ص ٤٦

١٨

فيها وطلبوا الي ان انوب عنهم بتبليغ القائد العام تبريكاتهم في انتصار جيوش الحلفاء في بلغاريا وفلسطين وسورية . فرد عليه الحاكم الملكي العام مبرقاً في ال ٤ من تشرين الاول يقول :

« الرجاء ان تبلغوا علماء النجف واعيانها وتجارها والفنصل الايراني فيها شكر الفوائد العام على تبريكاتهم . والقائد العام يود منكم تذكيرهم بما هو معروف عند كل احد ان بريطانيا العظمى تحارب المانيا لاجل صيانة اليهود التي لا يحل نقضها وتأمين حرية الشعوب الصغيرة التي تكون سعادتها متوقفة على رعايه هذه اليهود ، والنتيجة الحاضرة للفوز الذي احرزته جنود الحلفاء في الشرق الادنى هي تحرير الشعوب التي قاست العذاب من جور الدول الوسطى وحلفائها ، وقد اذعنت بلغارية للصالح بعد ان كسرت فاجليت جيوشها عن سربيا والباينا والجبل الأسود ، وعلى حسب ما تقتضي به حقوق الشعوب فان المناطق البلغارية التي يسكنها اليونان تعطى الى اليونان والمناطق التي يسكنها الصربيون تعاد الى صربيا ، وان عين الاهتمام الذي يعمل به الحلفاء في تأمين حقوق الشعوب هو الذي يتخذونه منهاجاً في سياستهم نحو العرب ، وكما ان الصربيين اشتركوا في استرداد بلادهم فان العرب ايضاً حاربوا جنباً لجنب مع الحلفاء لتحرير قطر عربي » ١٥ « ١ »

د - « البلاغ الانكليزي - الفرنسي »

لما دخل الأمير فيصل بنجل الملك حسين الشام في اول تشرين الاول ١٩١٨ م على رأس الجيش العربي اراد أحد رجاله ، شكري الايوبي ، ان يعلن قيام السيادة العربية في ارض سورية فرفع العلم العربي في اليوم الثالث من الشهر المذكور فاستاء الفرنسيون من هذا العمل وحملوا جنرال اللاني على انزاله فوراً فكان انزال العلم ضربة قاضيه على آمال الفاتحين وسبب هيجاناً عنيفاً في دمشق فاحتج الأمير فيصل

« ١ » جريدة العرب العدد ١٠٧ بتاريخ ٧ تشرين الاول ١٩١٨

لدا المني معلناً عجزه عن كبح جماح القوات العربية ما لم يصدر الحلفاء بياناً يوضحون فيه نواياهم نحو العرب على صورة رسمية فصارح الحلفاء الى اصدار البيان التالي في ٧ تشرين الثاني ١٩١٨ م وكان مما حمل الحلفاء على الاسراع في اجابة رغبة الامير فيصل؛ نشر الشيوعيين وثائق السرية التي عثروا عليها في ديوان وزارة الخارجية القيصرية في ٣ تشرين الاول ١٩١٧ م وبضمنها اتفاقية سايبكس - بيكو المشؤومة التي جزأت البلاد العربية الى دويلات تحت انتداب الحلفاء، وظهور وعد بلفور في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ م. وسائر الحركات الاستفزازية التي جعلت العرب قلقين على مستقبلهم وناذمين على تحالفهم مع الانكليز والفرنسيين فأزادت الحكومتان الانكليزية والفرنسية تديده هذه المخاوف فاذاعتا هذا المذشور :

« ان الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسة وبريطانية العظمى في خوض غمار الحرب في الشرق من جراء اطماع المانية، هي تحرير الشعوب التي ظالما رزحت تحت اعباء استعباد الاتراك تحريراً تاماً نهائياً، وتأسيس حكومات وادارات وطنية نستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم. وتنفيذ هذه الغايات قد انفتحت كل من فرنسة وبريطانية العظمى على تشجيع ومساعدة انشاء حكومات وادارات وطنية في كل من سورية والعراق، وقد حررها الحلفاء فعلاً، وفي الاقطار التي يسعى الحلفاء في تحريرها، والاعتراف بهذه الاقطار، تجرد تأسيس حكوماتها تأسيساً فعلياً، وان فرنسة وبريطانية العظمى لا ترغبان في وضع نظمات خاصة لحكومات هذه الاقطار، بل لاهم لهما الا ان تضمننا بمساعدتهما ومعاونتهما الفعلية سير امور هذه الحكومات والادارات التي يختارها السكان الوطنيون سيراً معتدلاً، وان تضمننا سير العدل الشامل الخالي من شوائب المحاباة وان تساعد التقدم الاقتصادي بانهاض همم الاهلين وتشجيع مشاريعهم، وان تساعد على تعميم التعليم والتهديب وان تضاعفاً جداً لتفرقة التي ظالما تخوفاً الاتراك في سياستهم.

هذه هي الخطة التي ستسير عليها الحكومتان المتحالفتان في الاقطار الحرة (١) وتقول مس بيل في مذكرة لها نشرها كولونيل. آتي راسن في كتابه.

« ان نشرنا للتصريح الانكليزي - الفرنسي ادى على اهميته السياسية العظيمة الى نتائج يؤسف لها في العراق، والواقع انه يكاد يردد ما جاء في التصريح الذي سبق لنا ان أدلينا به عند احتلال بغداد الا انه يختلف عنه في نقطة مهمة هي ان الاول جاء ونتائج الحرب لا تزال بين الشك واليقين فاعتبره الناس حيلة عسكرية ولم يعيروها اهتماماً زائداً اما الثاني فجاء بعد ان انتصر الحلفاء وبعد ان آمن الناس بهذا النصر، وكان اهل العراق قبل ان ينشر فيهم هذا التصريح قد ايقنوا بعد الذي رأوه من نجاحنا في انهاء الحرب ان البلاد ستبقى تحت السلطة البريطانية وان عليهم ان يرضوا بما عليه السيف ولكن هذا التصريح فتح لهم ابواباً جديدة الاأمل ظلوا خائفين عليها (٢) »

هذه جملة من وعود الحلفاء للعرب عامة والعراقيين خاصة ويتفتح منها أنهم كانوا مصممين على منح الشعوب العربية الحرية التامة « لتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من نفس رغبة السكان الوطنيين ومحض اختيارهم فهل حقت الايام هذه الاحلام ؟

يتبع
عبد الرزاق الحسني

(١) « لودر - في كتابه « القول الحق في تاريخ سورية وفلسطين والعراق » ص ٢٥ - ٢٦
(٢) « آتي راسن في كتابه « تصادم في الولاء » ص ٣٣٠ من المجلد الثاني

انثروا اهم نتائجكم
في مجلة البيان